(الأدب فن وأيديولوجيا)

الصراع الحضاري في رواية

عصفور من الشرق

د. فيصل مالك أبكر

باحث وأكاديمي / كلية التربية والآداب

جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية

faisalfafa@yahoo.com

مستخلص:

ظهرت مجموعة من الأعمال الأدبية في الأدب العربي في القرن العشرين تناولت علاقة الشرق بالغرب وما ترتب على تلك العلاقة من مظاهر صراع ثقافي وآيديولوجي واجتماعي وسياسي، وقد تجلت تلك العلاقة بصورة واضحة في سياق خطاباتها السردية وفي المحمولات الفكرية لشخصياتها الفنية التي عبرت عنها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فصارت تبعاً لهذا الحضور ملمحاً أصيلاً يفرض وجوده على أية دراسة أو قراءة فنية لبنى هذه النصوص.

يفضل الباحث استعمال مصطلح "الصراع الحضاري" لتسمية هذا المبحث الذي يتناول موضوع العلاقة ما بين الشرق والغرب، وهو مظهر مشترك بين مجموعة من القصص والروايات العربية الحديثة التي ظهرت تباعاً في القرن العشرين وهي رغم توافرها على قيم مختلفة، إلا أن هذه القضية قد شغلت حيزاً كبيراً في تضاعيف حكاياتها، ومع ذلك لا يمكن القول إن هذا الموضوع هو جوهر الحكايات جميعها، ولكنه تمظهر بالقدر الذي يكفي لأن يصبح معطىً يمكن أن يخضع للدراسة والنقد؛ بوصفه مظهراً إبداعياً يتجلى في العمل الأدبي، ويشكل مع الصور الفنية رؤية فكرية متكاملة.

تنتخب هذه الورقة البحثية رواية (عصفور من الشرق) للأديب المصري الراحل (توفيق الحكيم) وتخضعها للدراسة والتحليل، إذ تركز على عناصرها الفنية والموضوعية معاً لاستخلاص مجموعة من القيم والثيمات المدرجة في خطابها الأدبي، كما ترصد اجزاءً من تجربة المؤلف الشخصية والتي وجدت طريقها إلى النص في سياق المرجعيات التي تشكل العمل الإبداعي وتعطيه الحيوية وتجعله يتحقق بوصفه شيئاً كائناً وليس خيالاً محضاً.

الكلمات الدالة: عصفور من الشرق، توفيق الحكيم، الصراع بين الشرق والغرب

Abstract:

A group of Arabic literary works appeared in Arabic Literature in the twentieth century that addressed the relationship of east with the west and the outcome of such relation in terms of cultural, ideological and social conflict. This has been reflected clearly in its narrative discourses.

This research tackles the relation between East and West; focusing in the civilization conflict which is a common aspect among a collection of modern Arabic stories that published one after another in the 20th century.

Despise of availability of numerous published works which focus on contrastive values, we find that this issue engaged doubled the area exaggerated stories however; it can be noted that this subject is the core of all narration to the extent that it should be tackled researchers for studying and criticism, as it's a creative unique aspect that explicit the literary work, and constitutes along with the critical form an integrated intellectual vision.

This paper study and analysis a novel (a bird from the east) for Egyptian writer (Tawfiq al-Hakim), as it focuses on the elements of art and objectivity together to derive a set of values and themes in literary discourse, also monitors parts of the author's experience which it found away into the text thru the references that make up the novel and give it vitality as a real thing not imagination.

مدخل:

لم يقتصر امر الصراع الحضاري بين الشرق والغرب على الأدب وحده، فقد وجد هذا الموضوع طريقه إلى الثقافة العربية منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، إذ تقول المصادر[1]: إن موضوع الغرب واضح في الكتابات التي تلت زيارة الطهطاوي إلى فرنسا، وقد عالجه عدد من الكتاب، منهم الشدياق، إذ انفتحت المنطقة العربية على الغرب بعد حملة نابليون العسكرية على مصر، وما حملتها من صور الثقافة والفكر والأدب ويمكن الذهاب إلى أن الاستعمار الغربي للدول العربية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فرصة سانحة لظهور هذا الشكل من الصراع القائم على اللقاء أو الصدام بين حضارتين مختلفتين او بالأحرى متناقضتين، ثم اصبح هذا الموضوع هيكلاً عاماً لعدد من القصص والروايات الحديثة التي ظهرت تباعاً لكتاب عرب هم:

توفيق الحكيم في روايته الموسومة بـ "عصفور من الشرق"، ويحى حقي في رواية "قنديل ام هاشم"، وسهيل إدريس في روايته ـــ "الحي اللاتيني" ـــ التي عبّر فيها عن نزعته الوجودية ، والطيب صالح في روايته ذائع الصيت "موسم الهجرة إلى الشمال"، والحقيقة ان الأدباء الذين كتبوا في هذا الميدان كثر، امثال: شكيب الجابري في روايته " نهم " التي صدرت في العام ١٩٣٧م، وسليمان فياض في روايته " اصوات " التي صدرت في العام ١٩٧٠م وغيرها من الأعمال الروائية والقصصية، ولكن تبقى الروايات الأربع الأولى هي الأكثر شهرة وإمعاناً في التعبير عن هذا المظهر الفكري، لخصوصية تجربتها الإبداعية ذات العلاقة الحميمة بالخبرة الذاتية لدى مؤلفيها.

إن قطبي الصراع في معظم هذه الروايات هما الشرق والغرب؛ اي الأمكنة، وليس المقصود بذلك الجغرافيا تحديداً، وإنما شبكة العلاقات والرؤى التاريخية ،والفكرية، والسياسية، والاجتماعية التي تنشأ من ارتباط الإنسان بالفضاء المكاني، وما يكون له من انعكاس ورد فعل تجاه

الآخر الذي يرتبط بفضاء جغرافي مغاير له في محمولاته. وهكذا فإن العالم الممتد عبارة عن منظومة إنسانية؛ وبيئات منفصلة لها قوانينها وظواهرها؛ التي تضفي على الحقائق والمعاني ابعاداً موضوعية؛ تنبع من تفاعل الوجود الإنساني: المادي والمعنوي بالمكان.

ولا يمكن ان نتخيل حيزاً من الصراع الحضاري خارج فضاء الزمان والمكان، فالمكان هو الذي يضفي على اية واقعة سمة الوجود والحياة وليس شرطاً في هذا الحيز المكاني ان يكون ذا حدود، فقد يكون مكاناً افتراضياً يخلق جو هذا الصراع الأيديولوجي، وحتى يكتمل ملامح اي صراع لابد له من حيز آخر بجانب المكان وهو الزمان اياً كان تفاصيله وابعاده.

نشرت رواية "عصفور من الشرق" لأول مرة في العام ١٩٣٨م(٢). واستناداً إلى هذا التاريخ تكون هذه الرواية من الأعمال الأدبية الرائدة التي تناولت هذا المظهر، إذ تعد شكلاً من أشكال الإدراك والوعي لدى المثقف العربي، فظهور هذه الرواية إلى الوجود يؤكد تأثر المجتمع بما حوله من عوامل فكرية وسياسية ومعرفية، ومن جانب آخر يعبر عن التفاعل الكبير القائم بين العالم العربي والغرب، بدليل ان مبدعها قد استصحب كل المرجعيات التاريخية والسياسية والنفسية التي شكلت هذه العلاقة في بعدها الشرقي والغربي، وقد استقى الأبعاد الواقعية في هذه التجربة من خبراته الشخصية، كونه عاش في المجتمع الغربي لفترة مقدرة سمحت له بمعرفة طبيعته ولغته، واطلع على اسراره وخباياه فتحدث عنه حديث العارف، ولم تكن خطاباته القصصية مجرد شعارات دعائية صادرة عن موقف سياسي أو عقائدي او شخصي متعصب بل كانت عبارة عن رؤية آيديولوجية فنية حملت بين طياتها رسالة ضمنية، موظفة لغة الإبداع بكل جماليتها وشفافيتها وشحنتها الدلالية، وقد حدد عنصر الراوي في هذه الرواية مدى جودتها الفنية، وعمق اطروحتها الأيديولوجية، إذ كلما ابتعد المؤلف عن التقرير والمباشرة في عرض الخطاب الفكري، أتاح الفرصة للآليات الفنية الموظفة في النص لأن تؤدي

دورها، لا سيما تقديم الرؤية الفكرية التي لابد وان تتسق مع التقنيات الجمالية، لتشكل كتلة إبداعية متماسكة تتضافر جزئياتها معاً في تناسق تام ما بين البنية الفنية والموضوعية.

١ -١/ المتن والمبنى وأحادية الصوت:

تتشكل القصة من خلال السرد الذي يقوم به الراوي بشكل مطلق، وتدور وقائعها حول شخصية " محسن ": الشخصية الرئيسة، وهو شاب مصري يسافر إلى باريس بغرض الدراسة، ويقيم لدى أسرة فرنسية، تتكون من اب وام وابنهما المتزوج والد الطفل " جانوه "، حيث يتعرف على عجوز روسي يحب الفكر والفلسفة، ويميل إلى الشرق بكل حضارته، يجري حوارات طويلة مع محسن تمثل لبنة للمقارنة بين الشرق والغرب. ينفق محسن وقتاً في ملاحقة فتاة فرنسية تعمل في شباك تذاكر بدار عرض " سينما "، ويفاجأ بانها تستسلم له ببساطه لا تتوافق مع الزمن الذي استهلكه في ملاحقتها والتصورات والأوهام التي كانت تدور في راسه حولها، حيث كان يتخيل انها قديسة وشريفة ولا بد ان يحترم جمالها هذا، وبعد فترة يكتشف انها على علاقة مع شاب فرنسي، وكانت الفترة التي قضتها معه ليس إلا فترة جمود في علاقتهما، فأصيب بالإحباط والألم والحزن، فترك الفندق الذي تقطن فيه الفتاة الفرنسية ولجأ إلى صديقه الروسي ، الذي هَمّ لأن يرحل إلى الشرق معه غير ان صحته البدنية لا تساعده، فيطلب من محسن ان يستعجل الرحيل إلى الشرق: " اذهب انت يا صديقي ... إلى هناك ..إلى النبع .. واحمل ذكراي وحدها معك. وداعاً .. "(٣)

هذه هي المادة الخام لوقائع رواية عصفور من الشرق، وهي لا تختلف – في تسلسلها – عن المبنى الحكائي لأن راويها الخارجي يهيمن على الخطاب هيمنة تامة، ولا يسمح بأي تدخل في تضاعيف السرد الذي يقوم به، حتى الحوار يقوم برصده وإدراجه ضمن خطابه الطاغي، ويتجلى ذلك واضحاً في تفاصيل المبنى الحكائي.

يصور الراوي ميدان " الكوميدي فرانسيز " اثناء هطول المطر، وبطل الراوية " محسن " يتامل تمثالاً في وسط الميدان والمطر يهطل عليه بغزارة، ليلتقي بعد ذلك بابن صاحب المنزل الذي يقيم فيه، فيطلب منه " اندريه " مرافقته إلى جنازة والدة زميل له في مكان العمل تكون مناسبة لدخول الكنيسة لأول مرة في حياته، ويؤدي طقوس الدفن النصرانية مع الحضور، ليعقد مقارنة ما بين ذلك المكان ومقام السيدة زينب في القاهرة تمثل تلك المقارنة مرجعية لمساجلات فكرية وفلسفية طويلة تستهلك مساحة كبيرة من الرواية، وتتخذ من المقارنة بين الشرق والغرب موضوعاً رئيساً لذلك، ويمضي الراوي في إيضاح علاقة الصداقة المتينة بين " محسن " و " اندريه ".

يدرج الراوي وقائع حياة محسن مع اسرة صديقه الفرنسي، فيرصد علاقة البطل مع والدة الأخير، إذ يترك افراد الأسرة جميعها المنزل في الصباح الباكر يذهبون إلى المصانع ولا يعـودون إلا في المساء، فاندريه وزوجته وابوه يعملون ويتركـون صغيرهـم " جانو " مع جدته – والدة اندرية – ومحسن في المنزل، وعندما يأتي المساء يجتمعون حول مائدة الطعام: " دقت الساعة الواحدة في مصانع " كوربفوا " القريبة، فاسرعت المراة إلى قاعة الأكل وجعلت تهيئ مائدة الغداء، وسمع صرير في مفتاح الباب الخارجي، ثم بدا في الدار شيخ، ما كاد " جانو " يسمع صوت نعله وسعاله، حتى انطلق نحوه يجري ويصيح: " جدي حضر ...! جدي حضر ...! " (٤)

يصف الراوي اجتماع الأسرة لتناول الغداء ـــــ بمعيتهم محسن ـــــ يناقشون قضايا المجتمع والسياسة؛ يتحدثون عن رجال المال الأمريكيين والفرنسيين، والتفاوت الطبقي؛ واستغلال العمال في المصانع، بينما ينشغل محسن بالفتاة العاملة في شباك التذاكر في السينما، ويقدم له اندريه وزوجته نصائح حتى يستطيع أن يبني معها علاقة عاطفية: " وضحك اندرية ثم قال: اتسمع نصيحتي يا محسن ؟ ...

اذهب غداً وقدم إليها طاقة من الزهر، ثم ادعها إلى العشاء، في مطعم! ... فتفكر محسن قليلاً ثم قال: وإذا لم تقبل مني طاقة الزهر ؟! فقالت جرمين من فورها: " لا يوجد امراة في باريس ترفض طاقة من الزهر !... (٥) .

درج محسن على الجلوس في مقهى مواجه للشباك الذي تجلس فيه الفتاة " سوزي " وقد تحدثت إلى رفيقتها بشانه، فاقترحت بانه مجنون وبينما هما تتحدثان، إذا بمدير الدار يدخل عليهما يشتم ويهدر فتفرقتا، ومحسن قابع يتامل محبوبته في مثالية عالية ظاناً انها فوق الوصف، فيقطع عليه اندريه وزوجته حبل تفكيره، ويوصياه بأن يهديها زجاجة عطر، ويحدثها عن مواطفه بدلاً من تضييع الوقت، ولكنه لا يقتنع بالفكرة ويراها شيئاً ساذجاً .

يحضر محسن حفلاً موسيقياً في احد المسارح، بينما هو يعيش حالة الهيام العاطفي تلك، فيستمع إلى موسيقى بيتهوفن التي تنقله إلى عوالم سماوية تفيض بالسرور الداخلي، وخرج لينفذ الخطة التي رسمها، تعقب الفتاة ولكنها اختفت عنه، فكرر المحاولة مرة اخرى، ولما عرف مكان سكنها ترك اسرة اندريه ليقطن بالفندق الذي تقيم فيه الفتاة، وبينما هو يدبر امره للقائها تعرف على رجل روسي اسمه " إيفانوفتش " في مطعم فقير للعمال " هذا الرجل روسي ترك بلاده منذ بضعة اعوام، وهو ايضاً من اولئك الذين يعيشون على القراءة والتفكر والوحدة، وقد دعا الفتى إلى حجرته الصغيرة التي يقطنها، في إحدى دور العمال، فراى محسن الكتب مكدسة في كل مكان " (٦). كان لقاؤهما إرهاصاً لحوار فكري طويل بين الصديقين تناولا فيه الشرق بروحانياته، والغرب بماديته، كما عرج على الأديان السماوية، والحضارة الحديثة، والعدالة السماوية التي ينشدها الإنسان في الأرض، كان الحوار فلسفياً محضاً ناقشا فيه قضايا الاشتراكية إلى جانب الراسمالية والشرائع السماوية .

يسكن محسن الغرفة التي تعلو غرفة الفتاة " سوزي " ويكتب لأندريه رسائل يبين له التقدم الذي أحرزه، ويلتقي بالفتاة فيما بعد ويهديها ببغاء اسمه " محسن "، حتى يسمع اسمه من فمها كلما ارادت ان تناديه، غير انه يشعر بالفراغ فيلوذ بصديقه الروسي ليستهلك معه وقتاً طويلاً يتحدثان فيه عن الموضوعات الفكرية والفلسفية، وفي تلك الأثناء يتذكر الفتى انه لم يذكر السيدة " زينب " منذ مدة طويلة وهي حاميته التي في السماء.

لم يستطع محسن ان يفاتح الفتاة بأمر حبه لها بعد ان التقاها في المطعم، وطوال الطريق المؤدي إلى الفندق، ولكنها زارت محسن في غرفته بعد عودتها من العمل قبيل منتصف الليل بقليل، وقدم إليها كتاباً واشار إلى صفحة محددة وطلب منها ان تقرأ فيها، وبعد فراغها من القراءة التصقت بمحسن وراحت تقبله :" فأحس الفتى إحساس من يهوي إلى الأرض؛ وكأن قيم الأشياء في نظره تضاءلت، وكأن الحياة نفسها قد تجردت من غطائها؛ فبدت عارية كتمثال مصبوب من السخف ! .... وشعر محسن بفراغ في مادة نفسه، لا يدري بعد اليوم بماذا يملؤه [٧]".

ظلت الفتاة تزور محسن كل صباح؛ تقبله وتخرج إلى عملها، إلى ان اصطدم يوماً ـ بينما كان يتغدى معها في مطعم – بشاب فرنسي يجلس قبالتها، فتتسمر في مكانها وتكف عن الكلام، أراد محسن أن يعرف منها شيئاً لكنها التزمت الصمت، كتب لها رسائل بعد انقطاعها عنه لكنها لم ترد، وبعد أن تكررت رسائله ردت عليه تعتذر، وهكذا خرجت من حياة محسن الذي استأجر غرفة في النزل الذي يقيم فيه صديقه الروسي، ليواصل معه الحوارات الفلسفية والفكرية .

يصل الروسي إلى قناعة أن الشرق هو العظمة، وهو السكينة والأيمان والأخلاق والقيم الإنسانية، بينما لا شيء يتوافر لدى الغرب من هذه الأشياء، وقد عقد عزمه على الرحيل إلى الشرق، غير ان المرض قد انهك قواه، فطلب من محسن أن يرحل إلى الشرق وبسرعة .

هذا هو المبنى الحكائي لرواية عصفور من الشرق، حيث تداعت احداثها بشكل متسلسل، مما خلق حالة من التوافق بين تطور الأحداث في الخطاب، وصورتها المادية في المتن الحكائي، وقد عمد الكاتب إلى اختصار اجزاء طويلة وتفاصيل تتعلق بالشخصيات الفنية، وذلك بأن اهملها الخطاب عدا مواقف جاءت على سبيل التذكر، وهي قصيرة وليست ذات تاثير في البنية السردية، وكان استدعائها للسياق ضرورة عاجلة، يحضر منها الحلم الذي قدمه الراوي عن البطل، إلى جانب ذكريات هذا الأخير في القاهرة إبان ثورة تسعمائة والف وتسعة عشر للميلاد. لم تتجدد هذه الصور وقد اقتصرت على مشهد واحد لأنها لو تكررت لأصبحت ميزة من مميزات الرواية، ولعرضت لها هذه القراءة النقدية التي تسعى لدراسة القيم الفنية والموضوعية معاً في هذا النص.

١ -٢: الشخصية الفنية والصراع الأيديولوجي:

يطالع صوت الراوي القارئ في اول جملة في الرواية، يصوراً مشهداً في باريس " مطر غزير، قد الجا الناس إلى مظلات المشارب والحوانيت " إذ يبدو في سياق هذه الجملة اسلوب السرد الموضوعي صيغة قوليه يسم الخطاب السردي في الرواية، يعززه موقف الراوي خارج إطار القصة، يلتقط التفاصيل ويرويها، من غير ان يدعم ذاكرته – في رواية القصة تحديداً – باية خبرات او معلومات يستقيها من جهة معينة او شخصية فنية، هذا الشكل يُبرز طُغيان الراوي وسطوته على تفاصيل الخطاب السردي، والفقرة الآتية تبين هذا المظهر :" لم يكن قد اكمل بعد عامه العشرين ... لقد كان ابوه المستشار يريده محامياً ... وكان هو يرى ان رغبته كانت تتجه ناحية الفن، والأدب ... ولذا كانت مهمته اثناء الثورة تاليف الأغاني الوطنية التي كان يلحنها بنفسه، والتي كان يغنيها زملاؤه – شباب القاهرة – خلف قضبان السجن بحماس، بينما كان هو لا يحمل سلاحاً غير سلاح الحماس .. لم يكن يحمل – في وسط الزحام – غير قلب مشتعل، واغاني وطنية وحماسية"(٨).

تظهر الفقرة السابقة صوت الراوي الخارجي، يلتقط الصور ويقدمها للقارئ في سرده، وقد اولى اهتماماً خاصاً بالشخصية المركزية التي تمثل قصتها عصب المتن الحكائي، وقد لجأ المؤلف إلى حيلة بسيطة – ليخفي نفسه، ويجعل روايته حكاية موضوعية لا تمت إليه بصلة، بتوظيف الراوي الخارجي ليقدم تفاصيل قصة الشخصية المركزية التي تتشابه قصته وبعضاً من ملامح تجربته الذاتية، فالفقرة تضمنت صوراً من تلك التجربة لا سيما اخبار ثورة ١٩١٩م، وحركة الناس في مدينة القاهرة في تلك الفترة، غير انه عرضها من خلال حُلم ليوهم بأن هذه التفاصيل تشكلت خارج وعي الشخصية الفنية، ولا علاقة لها البتة بالواقع، وتم اختيار الراوي الموضوعي ليبعد عنها ظلال الذاتية.

قدم المؤلف بطل الرواية " محسن " من خلال مجموعة من المواقف والمشاهد الفنية المعبّرة، حيث عرضه أولاً طالب معرفة يعيش في أسرة فرنسية، وفي عمق المجتمع الفرنسي يمارس طقوس اجتماعية مختلفة، يشاركهم في إعداد الطعام ويجلس معهم حول المائدة، يتبادل معهم الحوار حول القضايا والموضوعات المختلفة، يذهب إلى الكنيسة ليحضر مراسيم التشييع ويرتاد المسارح والمقاهي والأندية، يجوب الميادين العامة، يتمشى في الطرقات، ويقرأ الكتب متعمقاً في ضروب المعرفة، كل هذه المواقف تدعم بنية الشخصية الفكرية من جانب، وتبرر من جانب آخر تأثير التجربة الواقعية في تشكيل النص الإبداعي، ما يؤكد رؤية الباحث في هذا السياق نص حلمي بدير الذي يقول فيه :[٩] إن روايات توفيق الحكيم تغلب عليها التجربة الذاتية لا سيما عصفور من الشرق التي تعد تسجيلاً حياً، لفترة دراسته في باريس، وقد أفادت الرواية من هذه التجربة، كونها جعلت القيم الفكرية المعروضة في صلبها تتسم بالموضوعية، فالشخصية التي اثارتها ليست سطحية فهي عميقة في تكوينها، ترتكز على أساس ثابت في الثقافة والمعرفة .

ولقد دعمت بنية الشخصية المركزية الفكرية اتجاهين في الرواية؛ الفني والموضوعي، ففي الاتجاه الفني اعتمدت الرواية على الحوار

المطول، فالحوار وسيلة من وسائل السّرد له قيمته ودوره، فقد وظفته الرواية في بلورة الموضوعات الفكرية، وعرضها، وجاء في اجزائه اشبه بالفقرات السردية الطويلة التي تنهض بها الشخصية الفنية؛ منوعاً صوت الراوي المهيمن على السرد، وبدأ يصدر مباشرة من الشخصية الفنية، بينما اقتصر دور الراوي على التعليق فقط، وكانت أكثر الحوارات تأججاً هي التي دارت بين الشخصية المركزية، وشخصية " إيفان " الروسي، التي دعمت الاتجاه الموضوعي ومنحت الرواية توازناً كبيراً في انتمائها، والتزامها بالمنطق والحياد في عرض المحمول الفكري والسياسي والاجتماعي، للأيديولوجيات والأديان والمذاهب الفلسفية في الغرب والشرق، " ومن الإنصاف ان نشير إلى ان الصراع بين الشرق والغرب في الرواية، ليس تعصباً اعمى للشرق ضد الغرب بل هو نوع من الإيمان بالقيم الروحية المثالية التي نبتت في الشرق، ثم ما لبث أهل الشرق ان تخلوا عنها ففقدوا امجادهم واستسلموا لحضارة الغرب المادية ولم يأخذوا منها غير القشور دون اللباب في أغلب الأحيان"[١٠].

١ -٣: الحوار الفني آلية الخطاب الفكري في النص:

عول المؤلف على الحوار كثيراً في الكشف عن مضمون الرواية، فجعله دعامة أساسية للعملية السردية، وقد يقول قائل: إن الحوار المطول قد تمدد في مساحته على حساب السرد والعناصر السردية الأخرى، لكن لو تمعن المرء قليلاً لأدرك ان هذه الرواية في شكلها الفني قد بنيت لتناسب الوسائل السردية المستعملة إلى جانب مضمونها، فالمؤلف يعد كاتباً مسرحياً في المقام الأول؛ والكتابة المسرحية تعتمد على الحوار اعتماداً كبيراً في عرض مادتها، مما يفسر لجوءه للحوار في بناء القصة، يقول محمود شوكت :" اما في قصص توفيق الحكيم فتزداد حبكة القصة حبكة مسرحية زيادة كبرى، كما تتسع لوحة العرض في حوارها وشخصياتها وحواراتها، هذا إلى تناوله مشاكل فلسفية المدلول " [١١] فتقنية البناء في المسرحية قد دخلت ضمناً في صياغة الرواية، فاتسعت مواعينها الفنية، هذا

فضلاً عمّا نهله الكاتب من ينابيع الأدب الأوربي، كان نتيجة ذلك كما يذكر الناقد ان :" تأثرت القصة (عنده) بآثار الثقافة الفرنسية حين درس في فرنسا فصقلت الآداب الكلاسيكية ذوقه الفني وجعلته يميل إلى المزج بين التجريد المعنوي والرمزي وبين التصوير الواقعي في إطار واضح الفكرة، متسق العرض، هذا إلى جانب اتجاهه نحو فنين من أحدث الفنون الأدبية عهداً في الأدب المصري الحديث وهما: المسرحية والقصة " (١٢).

فلقد اتسم الحوار الذي أجراه المؤلف في القصة بالعمق في مضمونه، وقد عرض بأسلوب سهل ومتقن، ولعله قد عوّل على الفكرة اكثر من غيرها، لذلك خرجت واضحة ومباشرة وربما تقريرية، نظراً لأنها صدرت على لسان شخصية " إيفان " التي شكلها المؤلف على ذاك النحو المعقد، وسلحها بالمعارف الفكرية والفلسفية والعلمية المختلفة؛ وبذلك فإن الحوار يبدو ملائماً في صوره ومضمونه على نحو قول شخصية إيفان الروسي في حواره مع بطل الرواية: " إن الشرق يوم أعطى الغرب هذه الأديان إنما اعطاها على النحو الذي ذكرنا، فتسلمها الغرب، والبسها اردية موشاة بالذهب، ووضع على رؤوسها التيجان المرصعة بالماس، واقبضها صولجان الجاه والسلطان والجبروت الأرضي !... إن الكنيسة في اوربا، كانت – في يوم ما – اعظم مؤسسة مالية، وإن نظامها الراسمالي لأدق نظام ... وإن ثروتها الطائلة لتسند ظهر اقوى البيوت المالية، وتقوضها إذا شاءت في طرفة عين، فأين ذهبت كلمة المسيح ؟!..." ما اعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله؛ لأن دخول جمل في ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله !!... " (١٣).

ادرجت الرواية معظم قيمها الفكرية في سياق الحوار الدائر بين " محسن " و" إيفان" لذلك اختلف بناؤهما الفني عن بقية الشخصيات، من حيث زخم المعلومات المقدمة عنهما، إلى جانب المواقف التي تبرز تكوينهما النفسي والفكري والروحي، اما الشخصيات الأخرى فهي مجرد ادوات فنية، جاهزة التكوين، ذات مستوى واحد، وهي بسيطة في صراعها

وتفاعلها مع الأحداث [١١]، تتجلى قيمتها الفعلية في إبراز الجوانب الخفية في شخصية البطل وإضاءتها، مثل " اندريه "، وزوجته " جرمين "، اللذين ارتبط وجودهما بالشخصية المركزية، متعلقين بها، وقد عمد الكاتب إلى جعل " اندريه " يتصف بالواقعية وغلبة الروح المادية على سلوكه، في مقابل " محسن " الذي تنبع قيمة الأشياء عنده من ارتباطه بها عاطفياً، هذا فضلاً عن تاثره بالنزعة الروحية في تقييم المواقف ومواجهتها، ليعبّر بذلك عن الروح الشرقية بعاطفتها الإنسانية ونزعاتها الإيمانية.

جسّد المؤلف المظاهر الفكرية التي تعبر عن المذاهب والاتجاهات الجغرافية والفلسفية والحضارية، في هياكل شخصياته الفنية، حتى لا تغدو الفكرة مجردة ومعزولة عن بنية القصة، ربما لأنه قد شُغل بالقيم والمضمون الفكري في النص، أكثر من انشغاله ببنيته الفنية، ولا يبدو هذا المظهر بشكل علني، ولكن باستقراء فقرات التشخيص؛ واستبطان الشخصيات وبالكشف عن محمولها، يتضح ذلك جلياً، فالفتاة الفرنسية " سوزي" قد تقاسمت مع بطل الرواية تجربة عاطفية فاشلة، وقد كانت تتسم بالواقعية والمباشرة في تعاملها مع الأشياء والمواقف، بعكس بطل الرواية الذي ظل يتناول الأمور من وجهة نظر عاطفية محضة، لذا طغت عاطفته على عقله بشكل ظاهر في سياق الحوار الآتي :

"بادرت تقول: ابطات عليك قليلاً؛ اردت أن احصل على تذكرة دعوة للحفلة الأولى من الرواية الجديدة لأقدمها إليك !... واخرجت من حقيبة يدها رقعة من " الكرتون " اعطتها إياه، فاخذها ... ولكن بهدوء لم يستقر في نفسه؛ فقال لها بصوت حار :

- إني احبك إلى حد مخيف ... إلى حد الرغبة في أن انهال عليك ضرباً ...

فقالت مبتسمة وهي تفحص قائمة الطعام بعينيها

- هذا مخيف حقاً !... ماذا طلبت من الأكل ؟ ...

- إني احبك ... احبك كثيراً !..." (١٥)

تورد القصة أن العلاقة العاطفية بينهما لم تستمر، فقد كانت الفتاة على علاقة بشاب فرنسي وتعرفت على "محسن" حينما حدثت جفوة بينها وبين صديقها الفرنسي، فانتقمت من هذا الأخير، أو بالأحرى استعاضت عنه بعلاقتها مع " محسن "، وتكشف الأحداث إن الفتاة " سوزي " قد استغلت بطل الرواية استغلالاً سيئاً، دون ان تحفل بما يصيب قلبه وعاطفته المهزومة، وقد ركزت الرواية على هذه التجربة لتبرهن أن هذه الفتاة تمثل :" انانية الحضارة الغربية وتحجر قلبها وعدم رعايتها لأية قيمة غير قيمة المصلحة الذاتية التي يرتكب في سبيلها اي شيء " (١٦) بينما عبرت شخصية " محسن " عن تجربة المؤلف الشخصية، وعكست روح الشرق بعاطفتها وتسامحها وتساميها، لأن هذه العلاقة عندما انهارت لجأت الشخصية إلى الكتب والأقوال المأثورة والحكم تلتمس فيها العزاء، وتسري عن نفسها من وقع الفاجعة، وتلك اعلى درجة من درجات التسامح بتوخي السلوى في اشعار الشاعر الفارسي " حافظ شيرازي "، ذات القيم الروحية وفي سيمفونيات " بتهوفن " والحان " فاغنر "، وغيرها من ضروب الفن الإنساني .

ربط المؤلف بين صور الحياة المادية في اوربا، وبين شخصيات فنية اوربية، فأصبح مسلك الشخصية الفنية برهاناً قوياً وحجة دامغة امام المحكمة الأيديولوجية التي اقامها في تضاعيف النص الروائي إذ يقول الروسي " إيفان ": " ولكن آسيا وافريقيا ارتبطتا بالزواج، في طور من اطوار التاريخ، وانتجتا مولوداً جديداً: هذه الفتاة الشقراء – التي تسمى اوربا - جميلة رشيقة ذكية، لكنها خفيفة انانية، لا يعنيها إلا نفسها، واستعباد غيرها !...

وهنا قاطعة " محسن " قائلاً كالمخاطب نفسه:

ـ نعم " انانية " لا تعرف غير حياة الواقع ولا يهمها شقاء الغير، ولا تحب الحياة إلا في ... الحياة [١٧].

ربط المؤلف – ضمناً – بين شخصياته ومقولاته الفكرية، ووظف لذلك الراوي الذي يدرج الحوار – مشحوناً بالدلالات الخفية، مبطناً بالرموز – إلى جانب المقاطع السردية المعنية بحكاية تفاصيل القصة، فاصبحت الشخصيات تجسم قيماً وافكاراً تخص المؤلف، وتمثل المعاني المجردة التي يؤمن بها، دون ان تصرح بها بشكل تقريري للحفاظ على طبيعة النص الأدبية، فالصياغة الأدبية للقصة تتطلب فهماً خاصاً لاتجاه العلاقة بين الراوي والشخصيات من جانب، وعلاقة المؤلف بالراوي – والتي تنعكس مباشرة في المقروء – ومدى إحاطة هذا الأخير بالوقائع والحقائق الجوهرية التي يتكون منها المتخيل، فالمؤلف لا يظهر في النص إلا من خلال الراوي، لكنه لا يفتأ ان يضع افكاره ورؤيته قصداً، لتحل بين جزئيات النص مشكلاً نسيجه العام .

١ -٤: تنويع المصادر في الخطاب السردي:

شغل الحوار حيزاً سردياً كبيراً في خطاب الرواية السردي، فالقيم الفكرية تبلورت – تقريباً – من خلال نصوص الحوار التي دارت بين الشخصيات الفنية، وقد اقتصر دور الراوي على التعليق؛ شارحاً الإيماءات والإشارات الدلالية التي لا يمكن ان تكشف عنها جمل الحوار اللغوية المسندة إلى الشخصيات.

إن تمدد مساحات الحوار في الرواية قد ضيق من حيز الخطاب السردي الذي ينهض به الراوي؛ ولعل السرد هو الآلية الرئيسة المعول عليها في تقديم القصة، لكنه انكمش مفسحاً المجال للنصوص المقتبسة لأن تأخذ طريقها إلى الرواية، مقدمة ما يصطلح عليه بـ " التناص والذي يعتبر عند (كريستيفا)* احد مميزات النص الأساسية، والتي تحيل على نصوص اخرى سابقة عنها، او معاصرة لها، ويكوّن التناص

طبقات جيولوجية كتابية تتم عبر إعادة استيعاب، غير محدد لمواد النص، بحيث تظهر مختلف مقاطع النص الأدبي، عبارة عن تحويلات مقاطع، ماخوذة من خطابات اخرى داخل مكون ايديولوجي شامل" [١٨]، والمهم في الأمر هو هل استطاعت هذه النصوص ان تعبر عن الرؤية الدلالية للنص ؟ وما اداتها ؟ إذ يلاحظ ان الرواية قد لجات لأسلوب " الرسائل " [١٩] في اجزائها الأخيرة، وهي وسيلة اعتمدعليها المؤلف بعد ان وصلت قصة الشخصية المركزية – والتي قوامها العلاقة العاطفية بينها وبين الفتاة الفرنسية سوزي – إلى نهايتها المأساوية، فاصبحت هذه الرسائل شوطاً جديداً تراهن عليها الرواية، وتبرز فيها خبرات المؤلف الفنية والثقافية وملكاته الإبداعية، إلى جانب ما يختزن من صور ومعلومات حول موضوعات مختلفة، إذ انطوت الرسالة التي شغلت الفصل السادس عشر على شحنة انفعالات عاطفية، ظلت تعتمل في نفس الشخصية المحورية، فكانت متنفساً لها، رغم عدم خلوها من المثالية التي تتنافى مع طبيعة النفس البشرية المهيضة المحطمة

---

* (جوليا كريستيفا اديبة، وعالمة لسانيات، ومحللة نفسية، وفيلسوفة، ونسوية. فرنسية من اصل بلغاري. اصبح لها تأثير في التحليل النقدي الدولي من الناحية النظرية الثقافية والنسوية بعد نشر كتابها الأول "علم النص" في العام ١٩٦٩م. انتجت كماً هائلاً من الأعمال وتشمل الكتب والمقالات التي تعالج التناص، والسيميائية، والتهميش، في مجالات اللسانيات، ونظرية الأدب والنقد، والتحليل النفسي والسيرة، والسيرة الذاتية والسياسية والثقافية و تحليل الفن وتاريخ الفن. الموسوعة الحرة ويكبيديا).

الكبرياء، ولعل مبلغ مثاليتها انها التمست العزاء في شعر حافظ شيرازي على نحو قوله:" حبي نسيم الربيع، قادني إلى الصحراء !... لقد حمل إلى

النسيم عطره، لكنه أخذ مني راحتي !...إلهي !...إن هذا الجمال الـذي لا قلب له... ليفعم بالأسى قلوب عشاقه " [٢٠].

يكشف النص السابق أزمة بطل الرواية العاطفية، وقد استحالت إلى مشكلة نفسية أو روحية بالأحرى، طلب علاجها في موروث الشرق الروحي العميق، الذي لا يعوِّل على المادة والحياة المادية، كما في نـص الشـاعر الياباني:

إنما يبني الشاعر سعادته على الرمال

ويسطر شعاره فوق ماء الجدول الجاري !...نعم...

هنا كل البلاء الآدمي !... الا يمكن للنفس

الشاعرة أن تقيم هناءها على دعائم أثبت قليلاً

من هذه الرمال التي تغرق الإبل ... وتكتب أغانيها

على صفحات أبقى من صفحات هذا الماء التي تطويها

في شبه طرفة العين أنامل الهواء ؟ ... [٢١]

إن أبيات الشعر السابقة لتبرهن على مسلك بطـل الروايـة حينمـا التمس العزاء في السمو الروحي الذي يضمن للنفس الصفاء والهناء، وليس في المادة التي تفنى ولا يمكن أن يعوّل عليها، وقد اهتدى إلى ذلك فكانت الموسيقى هي الملجأ الأخير :" نعم، الآن .. بقليل من الموسيقى يستطيع أن يعتصم بالسحب، ضد هذا الحب الأرضي الذي وضع أنفـه فـي الرغـام !..."[٢٢].

يكشف ولع بطل الرواية وقناعته بالقيم الروحية وأبعادها؛ الصـور الحقيقية لتجربة المؤلف، صورة الفنـان المبـدع المثقـف، الـذي يهـتم بالموسيقى وتداعياتها وتأثيرها وسحرها في الـنفس التـي تتطلـع إلـى

السمو، وقد احتلت تجربة تأليف السيمفونية التاسعة " لبيتهوفن " و" سحر يوم الجمعة الحزينة " " لفاغنر " مساحة في الخطاب السردي، في إطار حرص المؤلف على نقل الصورة الواقعية التي تكتنف عملية الإبداع في معاناتها وصدقها وجمالياتها، وانفعالاتها التي تنبع من الروح الإنسانية العاشقة، لتروي ظماها – بهذا الترياق السماوي – إلى الحب والسكينة، ونقلها في صدق إلى المتلقي، مستمداً من إعجابه بالكثير من جوانب هذه الحضارة [٢٣] المتمثلة في الفكر والفن والعلم، متأثراً بها، لكنه لم يستسلم لها ويتركها تطمس هويته القومية، وتقضي على معالم شخصيته الوطنية.

١ -٥: عنوان الرواية مظهر دلالي:

يعد العنوان مظهراً دلالياً من مظاهر النص الأدبي، بوصفه اول جملة لغوية تطالع القارئ، ويمكن ان يعد اهم جملة في النص كله، وإلا لما وضع في واجهة الكتاب، لذلك فإن استنطاقه يسهم بشكل فعّال في فك مغاليق الرمز والدلالة الخفية، لا سيما في النصوص الإبداعية التي تستعمل اللغة احياناً لترمي بظلال المعاني، ولا تعبر عنها بصورة تقريرية مباشرة كما في " عصفور من الشرق "، ذلك لأن العبارة اللغوية الموظفة في العنوان، ليس سياقاً اعتباطياً، وإنما هي استعارة بلاغية قصد بها خدمة القيم الفكرية في النص في المقام الأول، والإيحاء باهمية المكان في تشكيل المعاني باعتباره فضاءً للصراع، والعنصر الذي تتجسد فيه المفارقة والاختلاف، وقد أوردت الرواية – تباعاً – مجموعة من السياقات:

{ " ايها العصفور القادم من الشرق " ص١٣ " ايها العصفور الشرقي " ص٢٢ " عصفور الشرق " ص٣٨ " اين عصفور الشرق " ص٤٣ }، فكلمة " عصفور " كناية عن شخصية البطل اما " الشرق " فهو الموطن الذي قدم منه، والمقصود به المشرق العربي، كما يقصد بالغرب اوربا، إذ تورد الرواية إشارات جلية تعزز وجهة النظر هذه، حيث يوجه شخصية " إيفان

" الكلام إلى " محسن " قائلاً :" انبياؤكم انتم ؟!.. نعم هذا من الجائز !... إن الشرق قد حل المعضلة في يوم ما ... هذا لا ريب فيه؛ إن انبياء الشرق قد فهموا ان المساواة لا يمكن ان تقوم على هذه الأرض، وانهم ليس في مقدورهم تقسيم مملكة الأرض، بين الأغنياء والفقراء، - فادخلوا في القسمة " مملكة السماء "، وجعلوا اساس التوزيع بين الناس " الأرض والسماء " فمن حرم الحظ جنة الأرض، فحقه محفوظ في جنة السماء ! ... هذا جميل !... ولو استمرت هذه المبادئ، وبقيت هذه العقائد حتى اليوم، لما غَلَى العالم كله في هذا الأتون المضطرم، ولكن الغرب اراد هو ايضاً ان يكون له انبياؤه الذين يعالجون المشكلة على ضوء جديد، وكان الضوء منبعثاً هذه المرة من باطن الأرض"(٢٤).

يبدو من خلال النص السابق ان قطبي الصراع في الرواية هما الشرق والغرب؛ اي الأمكنة، وليس المقصود بذلك الجغرافيا تحديداً، وإنما شبكة العلاقات المختلفة والرؤى التاريخية ،والفكرية، والسياسية، والاجتماعية التي تنشأ من ارتباط الإنسان بالفضاء المكاني، وما يكون له من انعكاس ورد فعل تجاه الآخر الذي يرتبط بفضاء جغرافي مغاير له محمولاته، هكذا فإن العالم الممتد عبارة عن منظومة إنسانية؛ وبيئات منفصلة لها قوانينها وحقائقها وظواهرها؛ التي تضفي على الحقائق والمعاني ابعاداً موضوعية؛ تنبع من تفاعل الوجود الإنساني المادي والمعنوي بالمكان .

ويمكن ايضاً ان نستجلي عتبة النص بشكل شمولي إذا حاولنا ان نفسر العصفور بانه شخصية المؤلف – الراوي – التي تعيش الصراعات الثقافية المختلفة ولذا فهي دائمة الترحل والترحال كما هو حال الطائر الذي لا يستقر ابداً في مكان واحد كما يمكن ان يرمز هذا المثقف – الراوي – إلى المثقف العربي الشرقي صاحب الموروث التصادمي الضخم مع الثقافة الغربية ومن هنا نشأ الصراع بينهما.

لعب مؤلف رواية " عصفور من الشرق " على هذا الوتر، فقدم الشرق فضاءً مكانياً ذا خصوصية تميزه عن الغرب، فاقترن بالدين

والشرائع السماوية وكل ما من هانه ان يعبر عن القوة الروحية لدى الإنسان، ابتداءً من الإنسان نفسه ممثلاً في الشخصيات الفنية التي تنتمي إلى هذا العالم المعبر عنه، مروراً بجميع المظاهر التاريخية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وصولاً إلى التجربة الفنية التي تستمد رؤيتها من الخبرة الشخصية، وهي مجموعة حقائق واقعية، يتم استيحاؤها وتمثلها وعرضها في صور موضوعية، تجسد تلك الحقائق وتكشف عنها من خلال رؤية شمولية ترهنها في سياق تجربة إبداعية يؤطرها الزمان والمكان .

عملت الرواية منذ صفحاتها الأولى على إبراز كل القيم الإنسانية التي لها علاقة بالمكان، ولا يخرج العنوان " عصفور من الشرق " من هذا الإطار، فالشخصيات قد تقاسمت الحظ في انتمائها إلى احد القطبين، ليس بأسمائها فقط وإنما بسلوكها وافكارها ووجهة نظرها تجاه القضايا والموضوعات، اما بالنسبة للقيم الفكرية في الرواية فقد مثل المكان حجر الزاوية فيها " لأن إضفاء صفات مكانية على الأفكار المجردة يساعد على تجسيدها ... وينطبق هذا التجسيد المكاني على العديد من المنظومات الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية والزمنية، بل إن هذا التبادل بين الصور الذهنية والمكانية امتد إلى التصاق معانٍ اخلاقية بالإحداثيات المكانية، نابعة من حضارة المجتمع وثقافته " [٢٥]، هذا إلى جانب وضع الشرق والغرب – فضاء الصراع – في مقارنة شملت موضوعات مختلفة، لا سيما الأحداث الفنية التي عبّرت بدورها عن الرؤية الفكرية في الرواية، سواء كان ذلك بتعليق الراوي ضمناً عليها، او بالمعاني المستقاة من صراع الشخصيات حول موقف معين، على سبيل المثال اقترحت " جرمين " زوجة " اندريه " الفرنسي على " محسن " ان يشتري زجاجة عطر " هوبيجان " بعشرين فرنك ويقدمها للفتاة التي يريد ان ينشئ معها علاقة، فاجاب الفتى قائلاً :" قارورة " هوبيجان " فقط !... ثمنها عشرون فرنكاً ! ... إنك تبالغين يا سيدتي!... إنها لجديرة ان اضع تحت شباكها قلبي كله!..."[٢٦] فالسلوك المباشر الموسوم بالواقعية هو من

صميم تكوين الشخصية الغربية، بينما المشرقي – وفقاً للرواية – تغلب عليه النزعة العاطفية، التي منبعها الشعور المعنوي والخيال، ولكل صفة منهما جانب السلب والإيجاب.

تنتهي هذه القراءة الموجزة لرواية " عصفور من الشرق "، وكان المدخل إليها الصراع الفكري في الرواية العربية الحديثة وإسقاطاته المتمثلة في توظيف تجربة المؤلف الذاتية وخبرته الحياتية في هذا الفن، إلى جانب استنطاق عناصر الرواية الفنية من تحليل للشخوص وقراءة للأحداث بغية استقراء المعاني والقيم الدلالية فيها، ولعل أهم الملاحظات التي يمكن تسجيلها في هذه الخلاصة هي:

أولاً: أفاد المؤلف من خبرته الذاتية في صياغة الرواية، وكان حضوره ضمناً في سياق العمل، لا سيما وقد وظف الراوي والشخصيات بشكل جيد ليوهم – إلى حدٍ ما – المتلقي أنه يقف في الحياد، رغم الإشارات الكثيرة التي تضبط تدخله في النص ومشاركته فيه بشكل غير مباشر .

ثانياً: مثّل المكان – الشرق، الغرب – محور الصراع، ويمكن القول هما موضوع الصراع لأن الفضاء المكاني ليس مجرد مساحة جغرافية فارغة بل هو مجموعة قيم كرسها وجود الإنسان، وصارت تعبر عنه ويعبر عنها في مستوياتها الاجتماعية والفكرية والسياسية والفلسفية وغيرها، ويدخل المكان بهذا التصور في الصياغة الإبداعية بمحمولاته ودلالاته المختلفة .

ثالثا: هيأت الرواية الشخصيات الفنية لتعبر عن رؤيتها الكلية، وقد كرست جهدها لإبراز الجوانب المعنية بالصراع بين الشرق والغرب، إذ قدمت شخصية " محسن " مسلحاً بالمعارف والفنون والإمكانات الذاتية، كذلك شخصية " إيفان " الروسي، وإن كان حظها أقل لكنها أفضل حالاً من الشخصيات الأخرى؛ التي كانت بمثابة أدوات مهمتها تسليط الضوء على الشخصية المركزية وبلورة الحدث .

رابعاً: شغل الحوار مساحات كبيرة في خطاب الرواية السردي الذي ينهض به الراوي، لكن هذا التمدد لم يخل بتوازن البنية السردية، إذ انطوى الحوار على خطابات مطولة قدمتها الشخصيات الفنية " إيمان، محسن "، كانت بمثابة سرد موازٍ للسرد الذي يقوم به الراوي، فادرجت اصوات الشخصيات هذه ضمن الأصوات السردية في الرواية، لدعمها قدرات المؤلف في التأليف المسرحي، التي جعلت مقاطع الحوار الطويلة الملتفرة في خارطة الخطاب موضوعية ومستساغة .

خامساً: لا يمكن ان تتحقق القيمة الجمالية لأي نص إلا من خلال تركيبته الفنية لأن المؤلف صاحب رؤية وموقف فكري، ولا توجد تجربة ادبية بدون رؤية للكون والحياة، إذ يحاول المؤلف ان يبرز رؤيته في تضاعيف عمله الروائي، دون ان يقحم ذاته ويفرضها فرضاً على النص المبدع، وذلك بانتخاب آلية فنية تتوافر على موقع محايد له خصوصية موضوعية، لتنهض بمهمة البناء الفني والموضوعي للنص.

سادساً: إن الأيديولوجيا هي الرؤية العامة التي تترشح من القراءة الموضوعية للعمل الأدبي، بعد ان تدخل – ضمناً – في صياغة خطابه، وتشكل وجهة نظره وفحواه، هذه المظاهر لا تعرض منفصلة عن البنية الكلية للنص بل تتخلل كل اجزائه وعناصره، فالسرد بمظاهره ومستوياته، وعناصر البناء المختلفة، لا سيما الأفكار والرؤى والأقوال الصادرة عن العوامل والشخوص، تُسهم جميعاً في بناء النص، وتتضافر معاً لإبراز مضمونه.

إحـــالات

(١) روجر آلن - الرواية العربية: مقدمة تاريخية ونقدية.- ص ٢١ انظر ايضاً: فاطمة موسى – في الرواية العربية المعاصرة: القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ، د. ت.- ص ٢٣٢.

(٢) توفيق الحكيم. عصفور من الشرق .- القاهرة: مكتبة مصر- د.ت ص .٥.

(٣) المصدر نفسه ص١٩٢.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٧.

(٥) المصدر نفسه ص ٨٥.

(٦) المصدر نفسه ص ٥٢.

(٧) المصدر نفسه ص ١٢٣.

(٨) المصدر نفسه ص ٢٠.

(٩) حلمي بدير. الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة.- ط١ .-الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠٢.- ص٧٠.

(١٠) فؤاد دوارة. توفيق الحكيم روائياً.- مجلة الهلال.- ع٥، س٨٠، ١٩٧٢م – ص ٧٢.

(١١) محمود حامد شوكت. النقد القصصي في الأدب العربي الحديث.- ط١.- القاهرة: دار الفكر العربي ، ١٩٦٣م.- ص ١٥٥.

(١٢) المصدر نفسه ص ١٧٢.

(١٣) عصفور من الشرق ص ١٧٠-١٧١.

(١٤) محمد غنيمي هلال – النقد الأدبي الحديث – دار الثقافة ص ٥٦٥.

(١٥) عصفور من الشرق ص١٢٦- ١٢٧.

(١٦) أحمد هيكل – الأدب القصصي والمسرحي في مصر – دار المعارف – القاهرة – ط٤ ١٩٨٣م ص ١٨١.

(١٧) عصفور من الشرق ص ١٧٣.

(١٨) سعيد علوش- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة – دار الكتاب اللبناني – بيروت – ط١- ١٠٨٥م ص ٢١٥.

(١٩) مصفور من الشرق ص ١٤١-١٥١.

(٢٠) المصدر نفسه ص ١٤٩.

(٢١) المصدر نفسه ص ١٥٥-١٥٦.

(٢٢) المصدر نفسه ص ١٥٩.

(٢٣) فؤاد دوارة – الهلال –العدد الخامس- السنة الثمانون – مايو ١٩٧٢م ص٧٢.

(٢٤) مصفور من الشرق ص ٨٦-٨٧.

(٢٥) سيزا قاسم – بناء الرواية – دار التنوير للطباعة– بيروت لبنان – ط١ ١٩٨٣م ص ١٠١.

(٢٦) مصفور من الشرق ص٥٠.